

تأملات في التجارب الناجحة أ.د. لطيفة الكندري

سوانح كثيرة جادت بها قرائح السُّيَّاح كلما مروا قُطرا من الأقطار، وهذه الخواطر والأفكار حرة بالكتابة والمناقشة والتأمل والفحص. سنحت لي الفرصة لزيارة مدينة أمستردام وما حولها وهناك شد انتباهي أكثر من مكان يستحق الذكر من مثل أسواقها الجميلة، ومتاحفها العريقة، والمكتبة العامة، والممرات المائية في هذه المدينة المتألقة بالثقافة، والزاهية بألوان المعرفة، والساحرة بطبيعتها الخلابة. تشكل الطواحين، والعناية بتصميم البيوت، ومصانع الألبان، والأحذية الخشبية ملامح الشخصية الهولندية المحبة للعمل المنتج المبدع. هولندا خير مثال لمجتمع جعل الفن والفكر والابداع أساسا في التربية والتعليم وسياسة البلاد حيث أضحت متاحف والمرافق الثقافية، والمعارض الفنية تستقطب الملايين من السُّيَّاح للاستمتاع بالفنون الجميلة من جانب، وزيادة الدخل القومي من جانب آخر. ولهذه الأسباب وغيرها أصبحت تلك البقاع من أشهر البلدان التي يؤمُّها السُّيَّاح من مختلف أنحاء العالم لرؤية مآثرها، والاستمتاع بمناظرها.

تقاس الأمم المتقدمة بعدة مقاييس منها درجة ارتياد الناس المكتبات وللأمانة فإن المكتبة العامة في امستردام لها مئات الأنشطة والمعارض طوال العام ولديها أكثر من مليون ونصف وعاء ثقافي. وخدماتها تشمل اللاجئين والمعاقين والدول النامية، عجبني قسم الأطفال في المكتبة فهو واسع وجميل وفيه جميع احتياجات الطفل. أكبر خسارة أن نزور دول العالم شرقا وغربا ثم لا نتأمل التجارب التعليمية الناجحة فيها. للأسف لدينا من أربعين سنة مناطق سكنية خالية من مكتبات عامة، وفي بلداننا العربية مكتبات ممنوع اصطحاب الأطفال فيها أقل من سن السادسة وهذه أوضاع تتناقض مع روح العصر. السياحة فرصة ثمينة لرصد تقدم الأمم القوية. هولندا أرض المفكر الإنساني إرازمس، ونشأ فيها الفيلسوف سبينوزا، والمستشرق الشهير رينهارت بيتر أن دُوزي صاحب كتاب: تكلمة المعاجم العربية!!

وفي متحف آي فيلم كانت خبرة جديدة ومكان ممتع وجميل فيه المرح المقرون بالتقنية الحديثة، والزائر يستطيع أن يشارك بسهولة في تمثيل فيلم كرتوني قصير وطريف وقد عملت لأحفادي لقطات كرتونية بعثتها لهم ولا زالوا في غاية الفرح عند مشاهدتها. المكان جيد لمحبي الثقافة السينمائية حيث يتم تسليط الضوء على روبي مولر المخرج الهولندي الذي نال جوائز عالمية عديدة، والمتحف خبرة جديدة والمكان تثقيفي بامتياز.

إن توثيق مشاعر الفرح، واللحظات المتميزة وسيلة لترسيخ سوانح الأفكار وحماية الذات من آفات النسيان. من الضرورة بمكان الحفاظ على كل ما هو جميل ومفيد في حياتنا لأننا نحتاج الطاقات الايجابية الملهمة في مسيرتنا الحياتية المنتجة.

وفي متحف ريكس الذي أسس القرن التاسع عشر ثمة ثمانين غرفة تحكي قصة هولندا لأكثر من 800 سنة وفيها أكثر من ثمانية آلاف لوحة تاريخية، وقطعة فنية. ويعد بيت الرسام الهولندي الشهير رامبرانت الذي عاش في القرن السابع عشر-العصر الذهبي لهولندا-متحفا صغيرا فيه ثروة إنسانية رفيعة. أبهجتني رسومات رامبرانت، وفان خوخ، وفيرمير. الأمة التي تحافظ على النافع من تراثها وتضيف إليه الابداعات المتتالية هي أمة دائمة التطور، سامية المكانة، تحتل مكان الصدارة.